

حمورابي .. والتوراة

حكمت بشير الاسود

منقّب آثار

المقدمة :

بشموخ بين المجتمعات القديمة التي عاصرتة . وذلك بالنسبة للقوانين والشرائع والانظمة التي سنها سكان وادي الرافدين على مر العصور لتنظيم امورهم الحياتية . وهنا تبرز مسلة حمورابي بمشرعها لتمثل تلك الحقبة . وذلك العطاء من نتاج السنين .

فهذا حمورابي المشرع العظيم وصاحب اول واكمل قانون في التاريخ يقول عن نفسه (انا حمورابي الامير الكريم عابد الالهة جئت لأنشر العدل في البلاد واقضي على الشر والفتن وامنع القوي من اضطهاد الضعيف ...) .

وقد كان لشرائع العراق القديم التأثير الكبير على المجتمعات المعاصرة في تلك الفترة اذ اقتبست هذه المجتمعات الشيء الكثير من القوانين العراقية القديمة .

وعند مقارنة الشرائع العراقية القديمة (وخصوصاً قانون حمورابي الذي يعتبر خلاصة القوانين العراقية القديمة)^(٢) بما انتجته التوراة من شرائع وقوانين نرى مدى التأثير الواضح والاقتراب الذي اخذته التوراة من العراق القديم .

وعند مقارنة الشريعتين الموسوية وشريعة حمورابي نشاهد

يعتبر القانون ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي لا يمكن عزلها بأية حال من الاحوال عن الظواهر الاجتماعية الاخرى . سياسية كانت او اقتصادية او خلقية او دينية . فالقانون في هذه الحالة ضرورة اجتماعية لاغنى عنها في كل مجتمع لتنظيم العلاقات بين افرادة وهيئاته ، فهو اساس كل تقدم وازدهار^(١) .

ولكن اذا تتبعنا الترتيب المنطقي التاريخي ، لوجدنا ان المجتمع اسبق من الحق ومن القانون في الظهور . فاذا مانسأ المجتمع بين الافراد ، فقد نشأت بينهم علاقات تتولد عنها حقوق وواجبات ،

واحتاج الامر الى قانون ليقوم بمهمة تنظيم هذه الحقوق والواجبات^(٢) وعلى هذا الاساس نرى انه كلما ارتقى المجتمع البشري درجة في التطور الحضاري كانت الحاجة ماسة الى قوانين وانظمة لتنظيم العلاقات بين الافراد ، وتشعبت نواحي الحياة الحضارية ، واخذت في النمو والتقدم ازدادت الحاجة الى شرائع لتنظيم هذه الامور وهذا مانلاحظه سواء في المجتمعات القديمة ام الحديثة .

وقد كان العراق القديم سباقاً في هذا الامر اذ نراه يقف

مكتشف في العالم قاطبة ومدون باللغة السومرية ويضم حوالي ثلاثون مادة قانونية .

ب - قانون (لبت - عشتار) ١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق . م وهو مدون باللغة السومرية ويمتقد ان هذا القانون يضم أكثر مائة مادة قانونية .

ج - قانون (اشنونا) وهو اقدم القوانين المدونة باللغة الاكدية - ويعود تاريخه الى ما قبل حكم حمورابي ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م بفترة يصعب تحديدها بالوقت الحاضر .

٤ . الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - بغداد ١٩٧٢ ص

٢٠٧

١ . الدكتور حسن علي الذنون - فلسفة القانون - بغداد ١٩٧٥ ص ٣ - ٨

٢ . المصدر السابق ص ٨١

٣ . لقد اخترت شريعة حمورابي لمقارنتها بشرائع التوراة ليس لان حمورابي اول مشرع أو اول قانون انتج في العراق القديم - بل بسبب ان شريعة حمورابي تعتبر اول شريعة كاملة ومكتوبة على مسلة وصلتنا من العراق القديم - اضافة الى ان قوانين حمورابي تعتبر خلاصة القوانين العراقية - ولقد ظهر في العراق القديم العديد من الشرائع والقوانين قبل حمورابي وهي :

أ - قانون (اور - نمو) ٢١١٣ - ٢٠٩٥ ق . م وهو يعتبر اقدم قانون

بلاد وادي الرافدين وتعرفها على القوانين العراقية وذلك نهاية القرن السادس ق . م .

x اما مصر الفرعونية فلم تعرف على القوانين المدونة الا في منتصف القرن الخامس ق . م (٧)

فالقانون من الناحية التاريخية والاجتماعية والفكرية يصور واقع الحياة في مجتمع ما في فترة زمنية محدودة ويبين مختلف اوجه حياة الافراد والجماعات الخاصة والعامة وعلاقة بعضهم ببعض وعلاقتهم بالسلطة وموقع كل منهم مع الاخر (٨)

وعلى هذا الاساس نرى ان القوانين العراقية او الشرائع العراقية تمتاز بالخصائص التالية :

(١) - يلاحظ على القوانين العراقية القديمة بصورة عامة عدم الشمولية للمواضيع وعدم وجود قواعد عامة . يمكن اعتمادها في تفسير الحالات المشابهة لتلك التي وردت في الحالات المفترضة او القرية منها (٩)

(٢) - التركيز على بعض القضايا وخاصة ما يخص الجرائم كالسرقة والاعتصاب والخيانة ... وغيرهما وقد ذكرت بعض القوانين بجرائم نادرة الوقوع في تلك المجتمعات بينما اهملت هذه القوانين بعض الجرائم التي يتوقع حدوثها في تلك الفترة بالذات والتي قد تهدد كيان الدولة . كالخيانة العظمى مثلاً واثارة الشعب والاضطراب والتمرد وغير ذلك (١٠)

(٣) - تشترك معظم الشرائع القديمة بالاعتماد بانها مستمدة من الالهة مما جعلها بالثبات والاستمرار وعدم التغيير والتحويل وانها جعلت لجميع الناس في جميع الاحوال والازمان وجعل الناس يتمسكون بالقواعد القانونية (١١)

(٤) - اضافة الى ميزة القدم التي تمتاز بها الشرائع العراقية القديمة وكذلك النضج والرقى الذي ميزها عن جميع الشرائع القديمة الاخرى فاننا نراها قد دونت بلغة قانونية دقيقة وباسلوب علمي (١٢)

(٥) - ان هذه الشرائع كانت عبارة عن قوانين دينوية صرفة مقتصرة على الشؤون المدنية لاتعرض للعبادات ودونت بهيئة مواد متسلسلة ، ولم تستنبط من كتب مقدسة كما في الشريعة العبرانية والاسلامية (١٣)

هناك تشابهاً كلياً في بعض المواد . وهناك اختلافاً في احكام البعض . في حين هناك مواد موجودة في واحدة من الشرائع دون الاخرى . مع وجود اضافات اخرى . وهذا امر طبيعي . حيث ان الشرائع واحكامها تستقى عادة من البيئة الجغرافية ومن ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تنسجم مع نمط وحياة السكان ومشاكلهم . ولا بد من وجود تأثيرات سابقة (١٤) . وقد اتبعت في مقارنة الشرائع العراقية القديمة مع التوراة . الطريقة التي اتبعها اغلب الباحثين في موضوع القانون القديم في تبويب وتصنيف المواضيع القانونية . حيث قسمت شريعة حمورابي الى ابواب وفصول وكل فصل او باب يحتوي على مجموعة من القوانين التي تتعلق بعنوان ذلك الفصل . ومقارنتها بما يشابهها في التوراة (١٥) .

طبيعة ومكانة القوانين العراقية القديمة :

يجمع الباحثون والمعنون في درس تطور الحضارات البشرية . على ان ظهور القوانين والانظمة الاجتماعية في حضارة ما . من اوثق المعايير والمقاييس للحكم على مدى تقدم تلك الحضارة في سلم التطور الحضاري والتقدم العمراني والاجتماعي . وينبغي للباحث ان ينظر الى ما خلفته حضارة وادي الرافدين من شرائع وقوانين مدونة يعدها مؤرخو الحضارة اولى واقدم محاولات الانسان في سيرته التاريخية الطويلة عبر العصور . لتنظيم اولى مجتمعات متحضرة قبل نيف و ٤٠٠٠ عام (١٦) . والشرائع العراقية القديمة على قدر عظيم من النضج والرقى بالنسبة لجميع الشرائع القديمة اضافة الى كونها اقدم الشرائع البشرية قاطبة فهي تسبق في ازمان تدوينها اقدم ما عرف من قوانين في الحضارات المختلفة بعشرات القرون .

x فالقانون اليوناني لا يتعدى زمن تدوينه القرن السادس ق . م

x والقانون الروماني القديم المعروف بالالواح الاثني عشر يعود الى عام ٤٥٠ ق . م .

x ومجموعة القوانين الرومانية التي جمعها وقننها الامبراطور البيزنطي (جستيان) يعود تاريخها الى ٥٢٧ - ٥٦٥ ق . م .
x وكذلك الشعوب الايرانية التي لم تعرف الاستيطان قبل الالف الاول ق . م ولم تشرع القوانين . الا بعد ان تم اتصالها

٩ . المصدر السابق ص ١٦٢

١٠ . المصدر السابق

١١ . طه باقر - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة بغداد ١٩٥٥ ص ٢٨٠ -

٢٨١

١٢ . المصدر السابق ص ٢٨٢

١٣ . المصدر السابق ص ٢٨٢ - ٢٨٢

٥ . حول هذا التصنيف راجع كتاب الدكتور عامر سليمان - القانون في

العراق القديم - ١٩٧٧ ص ٢٢٦ وكتاب الدكتور فوزي رشيد - الشرائع

العراقية القديمة - بغداد ١٩٧٢ ص ٩٢

٦ . القانون في العراق القديم ص ٥

٧ . المصدر السابق ص ٥ والشرائع العراقية القديمة ص ٧

٨ . القانون في العراق القديم ص ٧

التعريف بقانون ومسلة حمورابي (١٤) :

الصالح) ثم يسرد القابه وحب الالهة له ويعلن لكل من اصابته ضلالة ان يمثل امام صورة الملك العظيم ملك العدل فيقرأ شريعته .

ثم يسرد النصائح الى الاجيال الالية ان تتدبر احكامه وتقدر أعماله وتسير بموجب احكام شريعته العادلة ويعدد لعنات الالهة على كل من يحرف شريعته او يزيل مسلته ويمحو اثرها . بعد ذلك بدأ حمورابي بالدعاء الى الالهة من اجل الملوك الذين سيأتون بعده ويطبّقون قوانينه وينشرون العدل في البلاد ثم ينزل لعناته ولعنات الالهة على كل من (تجاهل لعناتي ولم يخشى لعنات الالهة ومن القوانين التي شرعتها وشوه كلماتي وغير تعليماتي) وقد شملت الخاتمة خمسة حقول من المسلة - وشغل الدعاء للملوك ١٦ سطراً فقط وهو نفس الاسلوب الذي اتبع في القانون العبري (١٨) .

وبعد ان استعرضت بشكل بسيط طبيعة الشرائع العراقية القديمة واعطيت تعريفاً بقانون حمورابي لابد ان نلقي الضوء حول كيفية انتقال اغلب مواد هذه القوانين الى العبرانيين وكيفية وصولها الى التوراة ... وذلك بسبب ما نشاهده من تشابه كبير بين ماجاء بقانون حمورابي ، وبين ما هو معروف بالمراجع العبرية وخاصة التوراة - وقد عكف الباحثون على دراسة هذا التشابه ، ومحاولة ايجاد نوع من العلاقة التي تربط القوانين العراقية القديمة بالشريعة العبرية ومدى تأثير الاولى بالثانية (١٩) فمن المعلوم ان التوراة قد تكونت عبر ثلاثة ادوار :

- ١ . دور ابراهيم الخليل في القرن ١٩ ق . م الذي سكن العراق بعد ان هاجر من الجزيرة العربية ثم رحل الى حران وكان يتكلم اللغة الآرامية الكنعانية ، وينتهي هذا الدور بعد ان هاجرت اسرة يعقوب الى مصر واندمجت مع المجتمع المصري .
- ٢ . دور موسى وجماعته في القرن ١٣ ق . م عندما نزلت هذه

يعتبر قانون حمورابي اكمل وانظم قانون مكتشف في العالم حتى الان (بالرغم على ماتبدو بعض مواد الشريعة بانها عبارة عن جمع منقح لمواد الشرائع التي سبقتها ، ان حمورابي قد حذف من مواد الشرائع السابقة ما كان لا يتفق وطبيعة العصر الذي يعيش فيه ، واذاف الى شريعته مواد اقتضتها مصلحة الدولة آنذاك ولاسيما القوانين الصارمة (١٥) .

كتب حمورابي شريعته باللغة الاكدية (العربية) ورتبها ترتيباً متقناً فنياً (١٦) نقش تلك الشريعة على مسلة من الحجر الاسود (حجر الديوريت) اسطوانية الشكل يبلغ ارتفاعها ٢٢٥ سم وقطرها من الوسط ٦٠ سم ومحيطها من الاعلى ١٦٥ سم ومن الاسفل ١٩٠ سم وقد نحت الجزء العلوي من وجه المسلة نحتاً بارزاً يمثل اله الشمس (شمش) اله الحق والعدالة ، جالساً على عرشه ويديه اليمنى (عصا الراعي) وشريط القياس (١٧) يسلمها الى حمورابي الواقف امامه بخشوع المتعبد . وفي اسفل الصورة تبدأ الكتابة المسمارية المنحوتة على المسلة بأربعة واربعين حقلًا يفصل بين كل حقل خط واضح لتجمع ٢٨٢ مادة وتنقسم المسلة الى ثلاثة اقسام .

(١) - المقدمة : التي شغلت ما يقارب خمسة حقول - وكتبت بأسلوب ادبي رائع وفيها يذكر حمورابي الاسباب التي دعت له لاصدار شريعته وهي انتداب الالهة له لكي ينشر العدل في البلاد حتى (يقضي على الشر والخبث ولكي لا يستعبد القوي الضعيف ولكي ينير البلاد) .

(٢) - المواد القانونية وعددها ٢٨٢ مادة تعالج مختلف شؤون المجتمع .

(٣) - الخاتمة التي يذكر فيها (الاحكام العادلة التي اصدرها حمورابي الملك العظيم للبلاد فازدهر فيها العدل والحكم

١ - القانون في العراق القديم

ب - الشرائع العراقية القديمة

ج - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة

وكذلك اعتمدت في مقارنة المواد القانونية في التوراة على (الكتاب المقدس - بيروت ١٩٦٢)

١٧ . عصا الراعي : وهي رمز القيادة حيث يكون حمورابي راعي البشر شريط القياس : وهو شريط خاص بقياس البناء وتحديد الاسعار ليتسنى لحمورابي بواسطة القياسات الدقيقة اعمار البلاد وتشبيت الملكية (وهذا رمز بتفويض الاله لحمورابي وتسلمه الشرائع المقدسة من الاله شمش - وبتعبير آخر يقدم شريعته الى ذلك الاله .

١٨ . انظر سفر التثنية ٢٨ : ١ - ٦٨

١٩ . القانون في العراق القديم ص ٩

١٤ . حمورابي : الملك البابلي الشهير سادس ملوك الامبراطورية البابلية الاولى حكم خلال الفترة ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م وقد امتاز حكمه بان جعل السلطة متمركزة بيده - خلف لنا جملة من الرسائل الرسمية الادارية التي كان يرسلها الى عماله وولاته في الاقاليم التابعة له لتسيير شؤون مملكته الواسعة - ويعتبر المؤرخون ان اعظم عمل قام به حمورابي هو تشريعه للقوانين وتشبيتها على الحجر ورقم الطين وتوزيعها على المدن البابلية لكي يطلع عليها الناس ويسير على موادها الحكام والقضاة لتطبيق العدل بين الناس .

١٥ . الشرائع العراقية القديمة ص ٨٠ - ٨١

١٦ . لقد اعتمدت في سرد المعلومات عن مسلة حمورابي على المصادر التالية :

الجماعة من مصر الى ارض كنعان على اثر اضهاد المصريين لجماعة اخاتون اصحاب ديانة التوحيد .

وتقول التوراة ان شريعة موسى نزلت في جبل سيناء . وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحين حجري مكتوبين على جانبهما باصبع الله ... وسواء كتبت التوراة في هذا العصر من قبل الله او من قبل موسى . فان مامن عالم في عصرنا يقر بان موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة . او انه اشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده . بل يجب القول : ان هناك ازدياداً تدريجياً سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية . ان موسى قد استعمل وثائق مدونة او تقاليد شفوية لانشاء كتابته . وكذلك بقبول تبديلات واطافات عقبته موسى فلا احد اليوم ينكر وجود هذه المصادر . او يرفض تقدماً تدريجياً في الشرائع الموسوية سببته ظروف اجتماعية ودينية لاحقة . وهكذا اصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع الى زمن موسى . ثم تحديد القسم الذي اضيف بعد ذلك او القسم المحرف . الا انه من المحتمل ان الوصايا العشر كانت اصل الشريعة التي كتبت على لوحين الشهادة .

٣ . الدور الثالث هو دور كتابة التوراة التي هي بين ايدينا الان في القرن ٧ - ٥ ق . م في بابل باللغة العبرية التي هي احدى اللهجات الارامية من قبل اليهود اثناء مكوئهم في بابل بعد السبي فقد واصل اليهود في بابل ممارسة ديانتهم وشعائهم حتى يقال ان السبي البابلي كان عاملاً قوياً في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلت . (٢٠)

وهكذا نرى ان قوانين العهد القديم مرت بمراحل تاريخية كثيرة . وقد بدأ القانون يظهر عند الاسرائيليين كما في العراق القديم حين اخذ الناس يلجأون في خصوماتهم الى حكم او قاضي يتمثل في موسى . فكان مايقضي به يدعي (تورت) ومفردها توراة وقد استعملت هذه الكلمة بمفهوم القانون . ثم تطورت هذه القوانين نتيجة لاطلاع اليهود على الثقافات العراقية القديمة اثناء السبي البابلي كما مر ذكره .

مقارنة بين شريعة حمورابي وشرائع التوراة :

(١) الباب الاول : القضاة والشهود

المادة (١) من قانون حمورابي :

أ - عقوبة الاتهام الكاذب : اذا اتهم سيد سيدي . واقام عليه دعوى بالقتل ولكنه لم يستطع اثباتها فانه (المتهم) يعدم .

يقابلها في التوراة (اذا قام شاهد زور على انسان يشهد عليه يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة امام الرب . امام الكهنة والقضاة الذين يكونون في تلك الايام . فان فحص القضاة جيداً واذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على اخيه . فافعلوا كما

نوى ان يفعل به) تثنية ١٩ : ١٦ - ٢١

ان عقوبة الاتهام الكاذب في شريعة حمورابي اشد صرامة من شريعة التوراة .

ب - حول عقوبة السحر : المادة (٢) من قانون حمورابي :

اذا القرار حل على رجل بتهمة (ممارسة) السحر . ولكنه لم يثبتها . فان على الذي اتهم بالسحر ان يذهب الى النهر وعليه ان يرمي نفسه في النهر . فاذا غلبه النهر فان على من اتهمه ان يستولي على بيته . فاذا اثبت النهر ان هذا الرجل بريء وخرج منه سالماً . فان الذي اتهمه بالسحر يعدم . اما الذي خرج من النهر سالماً فعليه ان يستولي على بيت متهمه (٣١) .

يقابلها في التوراة : لاتدع ساحرة تعيش خروج : ٢٢ : ١٨

وكذلك (لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته في النار . ولا من يعرف عرافة عائق ولا متفائل ولا ساحر . ولا من يرمي رقية ولا من يسأل جانا او تابعة ولا من يستشير الموتى . لان كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب وبسبب هذه الارجاس الرب الهك طردهم من امامك تكون كاملاً لدى الرب الهك) تثنية ١٨ : ١٠ - ١٣

ان اتهام شخص بممارسة السحر حسب قوانين حمورابي يحكم (بالاختبار النهري) اما في التوراة فقد حكمت على الساحر والساحرة بالقتل . وكل من يمارس هذا العمل او مايشابهه مكروه عند الرب .

(٢) الباب الثاني : الجرائم التي تقع على الاموال كالسرقة والنهب :

أ - مادة (٧) من قانون حمورابي : اذا اشترى رجل او استلم على سبيل الامانة اما فضة او ذهباً او عبداً او امة او ثوراً .. او اي شيء اخر من يد ابن رجل او عبد رجل بدون شهود وعقود . فان ذلك الرجل سارق ويجب ان يعدم .

يقابلها في التوراة - سفر اللاويين ٦ : ٢ - ٧

اذا اخطأ احد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة او امانة او مسلوباً او اغتصب من صاحبه او وجد لقطعة وجحدوا وحلف كاذباً على شيء من كل مايفعله الانسان مخطئاً به فاذا اخطأ : او اذنب يرد المسلوب الذي سلبه او المعتصب الذي اغتصبه او

الشخص - فيرمي الشخص المتهم بجريمة ما بالنهر فاذا نجى فالشخص بريء واذا حدث العكس فقد نال جزائه .

٢٠ . العرب واليهود في التاريخ ص ١٥٥ - ١٥٨

٢١ . الاختبار النهري : كان يستعمل في العراق القديم لمعرفة براءة

الوديعة التي اودعت عنده ، او اللقطة التي وجدها او كل ما حلف عليه كاذباً يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسة الذي هو له يدفعه يوم ذبيحة اليه ...)

ان كل من يتسلم اموالاً منقولة بدون شهود يعتبر سارقاً بحسب شريعة حمورابي . وتفرض عليه عقوبة السارق (الموت) . اما في شريعة التوراة فتكتفي بالتعويض خمسة اضعاف المبلغ مع تقديم ذبيحة للرب .

ب - المادة (١٤) اذا سرق رجل ابناً صغيراً لرجل آخر يجب ان يعدم يقابلها في سفر الخروج ٢١ : ١٦ ومن سرق انساناً وباعه او وجد في يده يقتل قتلاً .

ان الشريعتان متشابهتان في هذا الموضوع حول سرقة الابن الصغير . حيث اعتبر المشرع العراقي القديم الابن الصغير ضمن الاموال المنقولة وخاصة وان من العادات الشائعة آنذاك ان يتبني الشخص طفلاً صغيراً مقابل مبلغ من المال ووفق شروط معينة . (٣١)

ج - المادة (٢١) اذا احدث رجل ثغرة في دار ما (من اجل السرقة) فعليهم ان يعدموه امام تلك الثغرة . وقيموا عليه الجدار (اي يدفونه داخل الجدار) (٣٢) .

اما في التوراة فقد ورد (ان وجد السارق وهو يثقب فضرِب ومات فليس له دم . ولكن ان اشرفت عليه الشمس فله دم - ان يعوض - ان لم يكن له يبيع بسرقة) خروج ٢٢ : ٢ - ٤

(٢) الباب الثالث : يتعلق بشؤون الحقل والبساتين : المادة (٥٥) : اذا تقاعس رجل اثناء فتح جدوله للسقي فنزل الماء يغمر حقل جاره فعليه ان يدفع جوباً (لصاحب الحقل المتضرر) بقدر (ما ينتجه) حقل جاره .

المادة (٥٧) : اذا لم يتفق راع مع صاحب الحقل على رعي الغنم من العشب ولكنه ترك الغنم ترعى في الحقل بلا (موافقة) صاحب الحقل (فعندما) يحصد صاحب الحقل حقله فعلى الراعي الذي ترك الغنم ترعى في الحقل من دون (موافقة) صاحب الحقل ان يعطي لصاحب الحقل زيادة (على ما جناه صاحب الحقل من فعلته) عشرين كوراً (٣٣) من الحبوب لكل بور (٣٤) من مساحة الحقل .

يقابل هتين المادتين في سفر الخروج ٢٢ : ٥ - ٧ (اذا رعى انسان

حقل او كرمأ وسرح مواشيه فرعت في حقل غيره فمن اجود حقله ومن اجود كرمه يعوضه - اذا خرجت ناراً واصابت شوكاً فاحترقت اكداس او زرع او حقل فالذي اوقد الوعيد يعوض) .

لقد ورد مبدأ التعويض في كلتا الشريعتين . وقد استعاضت التوراة العقوبات المفروضة عن الاضرار التي تحدث بالزرع من جراء المياه - بعقوبات اخرى مفروضة عن الاضرار التي يحدثها اشخاص نتيجة الحرق وهذه الاستعاضة عن الاضرار الناتجة عن اشتعال النار بدلاً من الاضرار الناتجة عن المياه والتي اوجدها المشرع اليهودي هي بسبب عدم وجود اعمال ري في كنعان وفلسطين . (٣١)

(٤) الباب الرابع : ويتعلق بالائتمان والديون والودائع :

أ - المادة (١١٧) - اذا اخرج رجل بسبب حلول موعد استحقاق الدين وبيع (نتيجة ذلك) زوجته او ابنه او ابنته مقابل نقود او انه وضعهم تحت عبودية (دائنة) فعليهم ان يعملوا في بيت من اشتراهم او استعبدتهم ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة .

ان مدة ايفاء الدين هي ثلاث سنوات . بينما في شريعة التوراة تكون سبع سنوات كما جاء في سفر الخروج ٢١ : ٢ - ٤ (اذا اشترت عبداً عبرانياً فست سنوات يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً) .

ب - المادة (١٢٥) اذا اعطي رجل شيئاً للمحافظة عليه وفقدت حاجاته حيث اودعها مع حاجات صاحب البيت عن طريق اختراق الجدار او تسلق الدار (وكان ذلك) بسبب اهمال البيت فعليه (اي صاحب البيت) ان يعوض ما اعطي له للمحافظة عليه وسرق (منه) وعلى صاحب البيت ان يستمر في البحث عن مسروقاته ويأخذها من سارقه .

يقابلها في التوراة : اذا اعطي انساناً صاحبه فضة او حنطة للحفاظ وسرقت من بيت الانسان فان وجد السارق يعوض باثنين وان لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت الى الله ليحكم هل لم يمد يده الى ملك صاحبه خروج ٢٢ : ١٣ -

(٥) الباب الخامس : ما يتعلق بالاحوال الشخصية والشؤون العائلية :

أ - اتهام امرأة او فتاة بالفحشاء دون اثبات :

٢٤ . ال (كور) وهو قياس سومري ويساوي ٥ / ١١٢ كغم .
٢٥ . ال (بور) وهو قياس سومري حيث يعادل ٢ هكتار ٨٠ / ٦٤ م^٢
٢٦ . العرب واليهود في التاريخ ص ٢٤٩ - ٢٥٠

٢٢ . القانون في العراق القديم ص ٢٢١
٢٢ . وفي هذه الحالة فانه (أي المتهم) يعمر من مراسيم الدفن الذي كان يوليها العراقيون القدامى اهمية بالغة كما كانوا يمتقدون باستقرار روح المتوفي اذا قيمت له مراسيم الدفن .

المادة (١٣٧) : اذا نسب شخص الى امرأة الفحشاء ولكن لا يثبت عليها ذلك فيجب جلب الرجل امام القضاة ويعلموا جيبه قصاً .
 في التوراة (اذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها ابغضها ونهب اليها اسباب كلام واشاع عنها اسماً ردياً . وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم اجد لها عذرة - ياخذ الفتاة ابوها وامها ويخرجان علامة عذرتها الى شيوخ المدينة الى الباب ويقول ابو الفتاة للشيوخ اعطيت هذا الرجل ابنتي زوجة فابغضها وها هو قد جعل اسباب كلام قائلاً : لم اجد لبتك عذرة وهذه علامة عذرة ابنتي وييطان الثوب امام شيوخ المدينة ويأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويودونه ويغرمونه بمئة من الغلة ويعطونها لابي الفتاة لانه اشاع اسماً ردياً عن عذراء من اسرائيل فتكون له زوجة لا يقدر ان يطلقها كل ايامه) تثنية ٢٢ : ١٣ - ٢٠
 ب - الزواج اكثر من امرأة واحدة :

لقد اهتمت القوانين العراقية القديمة ومنها قانون حمورابي بتنظيم العلاقات الاجتماعية ووضع الحدود والضوابط لتلك العلاقات . ومن دراسة المواد القانونية المختلفة واحكامها يظهر لنا ان الاساس في الاسرة العراقية القديمة هو الزواج من امرأة واحدة مع وجود بعض الاستثناءات الخاصة . وهذا ما سنلاحظه في ايراد المواد التالية حول الزواج مع قرانها في التوراة* (٣٧) .

المادة (١٣٧) : اذا قرر رجل ان يطلق (الشوكيتوم) (٣٨) التي ولدت له اولاداً او ان يطلق (الناديتوم) (٣٩) التي جهزته بالاولاد فعليهم ان يعيدوا لها هديتها (اي ماجلبته من بيت ابيها) (اي هدية الزواج) ويعطوها نصف محصول الحقل والبستان ونصف الاموال المنقولة وعليها تربية اولادها وبعد تربيتها اولادها عليهم ان يعطوها حصة وريث واحد من كل شيء اعطوه لاولادها . ولها ان تأخذ الزوج الذي ترتبه .

المادة (١٤٤) اذا تزوج رجل ناديتود واعطت هذه الناديتوم لزوجها امة (وبذلك) تسببت في ان يكون لها اولاداً فاذا عزم الرجل الزواج من شوكيتوم فلا يسمح لذلك الرجل بالزواج وعليه ان لا يتزوج الشوكيتوم .

المادة (١٤٥) اذا تزوج رجل ناديتوم ولم تجهزه بالاولاد وعزم ان يتزوج الشوكيتوم فيمكنه تزوج الشوكيتوم ويدخلها بيته ويجب على الشوكيتوم هذه ان لاتساوي نفسها مع الناديتوم .

المادة (١٤٦) : اذا تزوج رجل ناديتوم واهدت الناديتوم زوجها امة فولد (منه) اطفالاً وبعد ذلك ساوت الامة نفسها مع سيدتها

فبسبب انجابها الاطفال لا يحق لسيدتها ان تتبعها بالمال ولكن لها ان تضع عليها (علامة العبودية وتعدّها من الاماء) .
 المادة (١٤٧) : فاذا لم تنجب (الامة) اطفالاً فليسديتها ان تتبعها بالمال .

يقابل هذه المواد القانونية التي اتت بها شريعة حمورابي - ماجاء في سفر التكوين ١٦ : ١ - ١٦ (واما ساراي امراة ابرام فلم تد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة اذخل على جاري لعلني ارزق منها بنين . فسمع ابرام لقول ساراي . فاخذت ساراي امراة ابرام هاجر المصرية جاريته من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في ارض كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر فحبلت - ولما رات انها حبلت صغرت في عينها فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك انا دفعت جاريتي الى حضنك فلما رات انها حبلت صغرت في عينها يقضي الرب بيني وبينك فقال ابرام لساراي هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينك . فاذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال ياهاجر جارية ياراي من اين اتيت والى اين تذهبين فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيراً اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة فقال لها ملاك الرب ها انت حبلتي فتلدين ابناً وتدعين اسمه اسمعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وان يكون انساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وامام جميع اخوته يسكن - فدعت اسم الرب الذي تكلم معها انت ايلي ربي لانها قالت : رايت بعد روية لذلك ودعيت البئر بئر يحيى هاهي بين قادش وبارد فولدت هاجر لابرام ابناً ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسمعيل وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسمعيل لابرام) .

فلو نظرنا الى المواد ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ والتي تعالج حالات حق الزوج بالزواج ثانية وخاصة اذا لم ينتج الزواج اولاداً فكان باستطاعة الزوج ان يختار احد اثنين اما ان يأخذ زوجة اخرى تكون منزلتها بعد الزوجة الاولى او ان يطلق الاولى مع دفع مبلغاً من المال - وقد تعمد الزوجة احياناً لحل المشكلة بان تقدم لزوجها سرية من امائها لتنجب له اطفالاً - ومتى ما ولدت هذه السرية فانها تصبح حرة (٣٠) . وهذا ما نلاحظه بين ابراهيم وهاجر

٢٩ . الناديتوم - صنف من الكاهنات لا يسمح لها بانجاب الاطفال
 ٣٠ . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ٤١٠
 ٣١ . القانون في العراق القديم ص ٢٦٢

٢٧ . القانون في العراق القديم ص ٢٤٩ - ٢٥٠
 ٢٨ . الشوكيتوم - صنف من اصناف الكاهنات اقل درجة من الكاهنة المعظمى ومن الزوجة الاعتيادية أيضاً .

لتلد له اولاداً .

ج - الزنا بالمحارم :

لقد عاقبت شريعة حمورابي الزنا بعقوبات صارمة كانت عقوبة الموت في جميعها . وكذلك الحال بالنسبة الى شريعة التوراة فقد كانت ايضاً صارمة في حكمها .

المادة (١٢٩) - اذا ضبطت زوجة رجل مع رجل ثان فعليهم ان يربطوهما معاً ويرموهما في الماء . فاذا رغب الزوج بالابقاء على حياة زوجته فالملك يبقى على حياة خادمه كذلك (الرجل الثاني) .

يقابلها في التوراة : اذا وجد رجل مضطجعاً مع امراة زوجة بعل يقتل الاثنان . الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من اسرائيل - التثنية ٢٢ : ١٣

المادة (١٥٥) : اذا اختار رجل عروساً لابنه واتصل ابنه (جنسياً) بها وقبضوا بعدئذ على الرجل وهو نائم في حضنها فعليهم ان يوثقوا هذا الرجل ويوموه في الماء .

يقابلها في التوراة (واذا اضطجع رجل مع كنته فانهما يقتلان كلاهما - فقد فعلا فاحشة دمهما عليهما) لاويين ٢٠ : ١١

د - مبدأ التبني :

كان التبني من المظاهر الاجتماعية المعروفة في المجتمعات القديمة وقد اعتبره قانون حمورابي ظاهرة اجتماعية شرعية تقتضيها مصلحة الناس - فنظم احكام لحماية حقوق الاطفال المتبنين وحقوق والدي الاطفال الطبيعيين والوالدين بالتبني وكان من الاسباب الرئيسية التي تدفع الاشخاص الى التبني هي توفير الاطفال لمن لا يستطيع الانجاب - وكذلك الحصول على الايدي الفنية العاملة حيث كان يؤخذ الاطفال ويدربون منذ الصغر على بعض الحرف وكان ايضاً الدافع الذي يدفع الاباء والامهات لاعطاء اطفالهم للتبني هي حالتهم المعاشية المتردية . (٣١)

ولم يقتصر التبني على الاطفال فقط بل شمل الكبار ايضاً - فكان بعض السنين مثلاً يتبنون رجلاً بالغا او امراة بالغة ليقوموا بمدايرتهم وتيسير اعمالهم في حياتهم والاشراف على دفنهم بعد مماتهم . (٣٢)

هنا المادة (١٩١) من قانون حمورابي لكي تقارنها بما يشابهها في شريعة التوراة .

(اذا تبني رجل طفلاً ورباه وبنى له بيتاً وحصل (المتبني) بعد ذلك على اولاد (ومن ثم) قرر (الرجل) التخلي عن (ابنه) المتبني فلا يذهب ذلك الابن (حالياً) فعلى الوالد الذي رباه ان يعطيه ثلث ميراثه من امواله ويذهب ولا يعطيه اية (حصة) من الحقل او البستان او البيت .

يقابلها في التوراة سفر التكوين ١٥ : ٢ - ٤ (فقال ابراهيم ايها السيد الرب ماذا تعطيني وانا ماضي عقيماً ومالك بيتي اليعازر الدمشقي وقال ابراهيم ايضاً انك لم تعطيني نسلاً وهودا ابن بيتي وارث لي فاذا كلام الرب اليه قائلاً لا يرثك هذا بل الذي يخرج من احشائك هو يرثك) .

(٦) الباب السادس : مبدأ العين بالعين والسن بالسن - وما يتعلق بايذاء الاشخاص :

ان مبدأ القصاص قد طغى على العرف البابلي وقد بلغت بعض الحالات الواردة في قانون حمورابي حد التطرف - هذا بالنسبة الى طبقة (الاويلم) (٣٣) - فيما اتبع القانون نفسه مبدأ التعويض في جوانب اخرى خاصة وان كان المجني عليه من طبقة (المشكينوم) او الرقيق (٣٤) .

أ - مبدأ القصاص : عقوبة انتهاك حرمة الابوين

المادة (١٩٥) اذا ضرب ابن اباه فعليهم ان يقطعوا يده . في التوراة سفر الخروج ٢١ : ١٥ - ١٧ (من ضرب اباه وامه يقتل قتلاً ومن شتم اباه وامه يقتل قتلاً) .

ب - مبدأ العين بالعين والسن بالسن

المادة (١٩٦) اذا سيد فقاء عين ابن احد الاشراف فعليهم ان يفقؤا عينه .

المادة (١٩٧) اذا كسر رجل عظيم رجل آخر فعليهم ان يكسروا عظمه .

المادة (٢٠٠) اذا خلع رجل سن رجل من طبقتهم فعليهم ان يقلعوا سنه .

الطبقة كما جاء في شريعة حمورابي ان العقوبات التي تفرض على الجرائم المرتكبة ازالهم اصرم من العقوبات في حالة ارتكابها ازاء الطبقات الاخرى .

٣٤ . طبقة المشكينوم / وهي تأتي بين الطبقة العليا وطبقة الرقيق - افرادها كانوا احراراً - وردت معاملة خاصة بهم في باب العقوبات في شريعة حمورابي اذ عمل بمبدأ التعويض بالنسبة للعقوبات التي ترتكب ضدهم .

٣٢ . لقد كان المراقبون القدامى يولون أهمية بالغة بمراسيم الدفن - وعلى هذا الاساس كان الشخص المسن الذي ليس له ذرية يتبنى احد الاشخاص ليقوم بمراسيم الدفن الاصولية بعد موته حيث ورد في نص مكتوب لرجل تبني امراة يقول لها (في حياتي تقومين باطعامي وحين اموت فانك تقدمينني القرايين الجنائزية) .

٣٣ . طبقة الاويلم : وهي تأتي في راس المجتمع البابلي ضمن تقسيمات المجتمع انذاك وتسمى ايضاً (الطبقة العليا) وقد امتازت هذه

المادة (٢٤٥) : اذا استأجر رجل ثوراً فأماته بالأهمال أو الضرب فعليه ان يدفع ثوراً مثل الثور الذي استأجره (لصاحب الثور .
في التوراة : (واذا استعار انسان من صاحبه شيئاً فانكسر او مات وصاحبه ليس معه يعوض . وان كان صاحبه معه لا يعوض . ان كان مستأجراً اتى باجرته) خروج ٢٢ : ١٤ - ١٥
المادة (٢٥٠) : اذا نطح ثور اثناء سيره في السوق رجلاً فأماته فان هذه القضية لاحتجاج الى اقامة دعوى .

يقابلها في التوراة (واذا نطح ثوراً رجلاً أو امرأة فمات - يرحم الثور ولا يوكل لحمه واما صاحب الثور فيكون بريئاً) خروج ٢١ : ٢٨

المادة (٢٥١) : اذا كان ثور رجل نطاحاً واعلمته ادارة بلدته انه نطاح ولم يقص قرنه أو لم يراقب ثوره - فاذا نطح هذا الثور ابن رجل فأماته فعليه ان يعطي نصف المنة (٣٦) من الفضة .
المادة (٢٥٢) : فاذا كان عبد رجل فعليه ان يعطي ثلث المنة من الفضة .

يقابل هاتين المادتين في التوراة سفر الخروج ٢١ : ٢٩ - ٢٢ (ولكن اذا كان ثوراً نطاحاً من قبل . وقد اشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرحم وصاحبه أيضاً يقتل . وان وقعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه .
واذا نطح ابناً أو نطح ابنة وبحسب هذا الحكم يفعل به . ان نطح الثور عبداً أو امة يعطي سيدة ثلاثين مثاقيل فضة والثور يرحم) .

وهكذا ومن خلال استعراضنا للقوانين العراقية القديمة نرى انها بلغت حداً من الكمال يدفعنا الى القول بأنها كانت ثمرة جهود وتفكير يستحق الاعجاب والتقدير . وكذلك تعتبر اولى جهود البشر في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد واصول معينة . والتي وجدت لها الطريق الى التوراة بطرق ووسائل مختلفة رأينا في هذه المقارنات .

يقابل هذه المواد في التوراة وبنفس المبدأ أيضاً ماورد في سفر الخروج ٢١ : ٢٣ - ٢٥ (وان حصلت اذية تعطى نفساً بنفس وعينا بعين وسناً بسن ويبدأ بيد ورجلاً برجل وكياً بكياً وجرحاً بجرح ورضاً برض) .

ج - مبدأ التعويض (اذا كان المجرى عليه من طبقة المشكينوم)
المادة (١٩٩) : فاذا فقاء عين عبد رجل أو كسر عظم عبد رجل فعليه ان يدفع نصف قيمته . يقابلها في التوراة سفر الخروج ٢١ : ٢٦ - ٢٧ (واذا ضرب انسان عين عبده أو عين امته فاتلفها يطلقه حراً عوضاً عن عينه .

الضرب غير المتعمد المادة (٢٠٦) (واذا ضرب رجل آخر في شجار وسب له جرحاً فعلى ذلك الرجل ان يقسم (لم اضربه متعمداً)
وعليه أيضاً ان يدفع للطبيب .

في التوراة : سفر الخروج ٢١ : ١٨ - ١٩ (واذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر ولكنه لم يقتل بل سقط في الفراش فان قام وتحسن خارجاً على عكاز يكون الضارب بريئاً الا انه يعوض في عطلته وينفق على شفائه) .

الاعتدائات المقصودة - يكون حكمها حسب حالة الضرر :
المادة (٢٠٩) : اذا ضرب رجل بنت رجلاً آخر وسبب لها اسقاط مافي جوفها (جنينها) فعليه ان يدفع عشر شقيقات (٣٥) من الفضة لاسقاط مافي جوفها .

المادة (٢١٠) : واذا توفيت تلك المرأة فيجب قتل بنته يطالعنا سفر الخروج ٢١ : ٢٢ - ٢٥ بما يشابه هذه الحالة :

(واذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل اذية يفرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القصاص ؛ وان حصلت اذية تعطى نفساً وعيناً بعين وسناً بسن ويبدأ بيد ورجلاً برجل وكياً بكياً وجرحاً بجرح ورضاً برض) .

(٧) الباب السابع : مايتعلق باجور الحيوانات والاشخاص ومسؤولية اضرارهم :



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



سومر